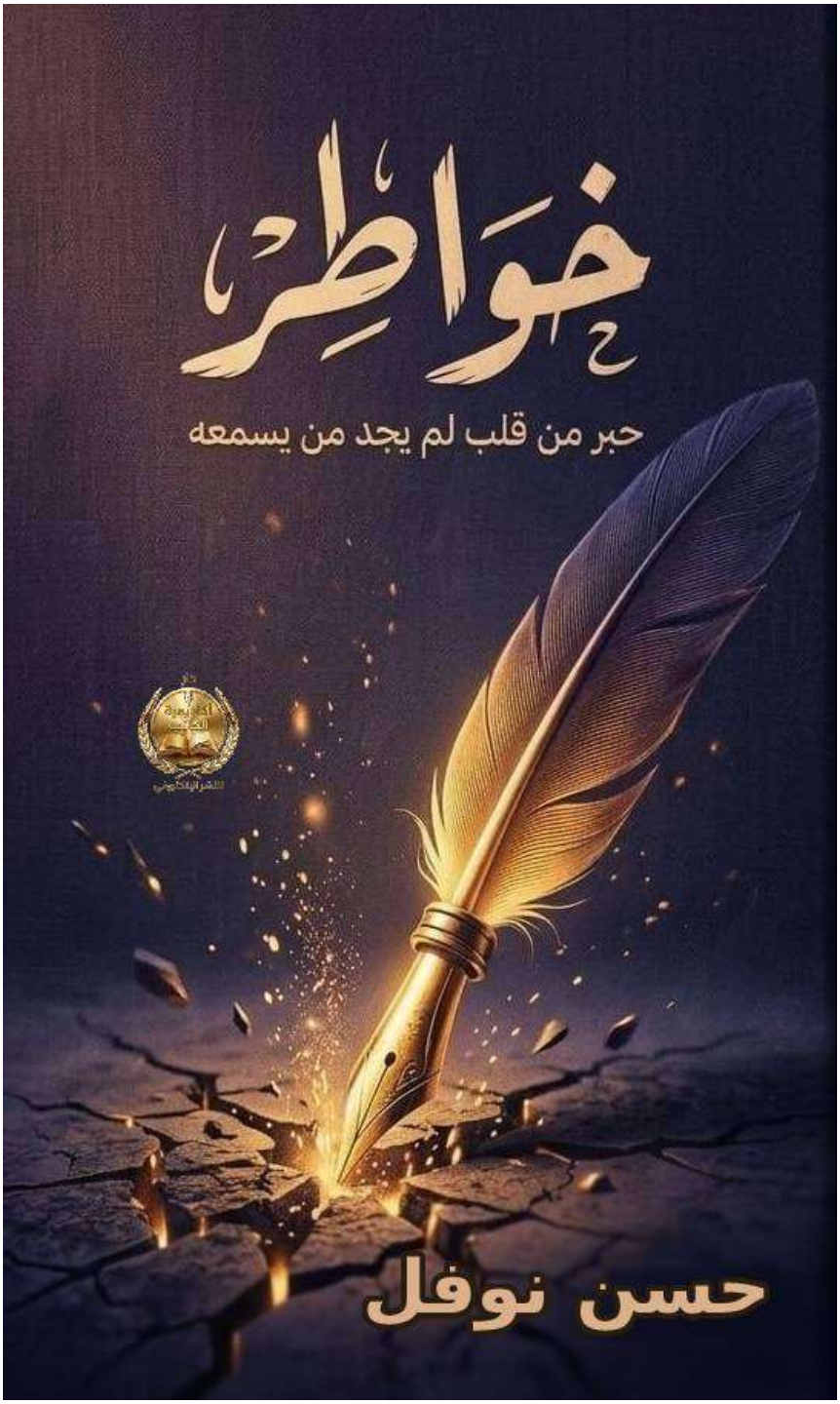
خواطر
حبر من قلب لم يجد من يسمعه
حسن نوفل

خـــــواطـــــر

حبر من قلب لم يجد من يسمعه

تأليف

حسن نوفل

عنوان الكتاب: خواطر حبر من قلب لم يجد من يسمعه

الموضوع: خواطر

تأليف: حسن نوفل

تصميم غلاف: عائشة عمارة

رقم الإيداع بالدار : 2026/0535

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-41-1-260513

الناشر:

أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

alkatebacademyforpublishing@gmail.com

01146008250

مصر

خـــــواطـــــر

حبر من قلب لم يجد من يسمعه

حسن نوفل

٢٠٢٦

دار
أكاديمية الجزيرة
للنشر الإلكتروني

استهلال

هناك ظنٌّ خاطئ بأن كل معايير الخذلان تأتي من الأشخاص، يُتَّهم المقرَّبون دائمًا بأنهم المصدر الأول والوحيد للخذلان، ولا داعي لذكر الغرباء، فلا حرج عليهم. الناس لا يدركون أن الخذلان الحقيقي هو أن تخونك صحتك، وأن تخذلك قدماك فلا تستطيع المضي

قدمًا، وأن لا تستطيع البوح بالحديث فيصبح حبيس

عقلك وصداع نومك وكوابيس أحلامك. لا تُحدِّثني عن

المعاناة عندما ترى ظلَّها، حدِّثني عنها عندما تراها

حقيقةً. أنا هنا لكي أنقل لك واقعًا لم تسمع عنه من قبل،

ولم تعشه كذلك، فئة قليلة فقط هي من تعلم عنه.

ستكون تلك القصة نقطة تحول لك ومرجعًا مستقبليًا إن

كان اليأس قد تملك منك يومًا. سأخبرك عمّا أشعر به

وما أعيشه، وعن يومياتي، وعن خفايا الأخصائي الاجتماعي: ما تعرفه وما تجهله، وما تسخر منه وما تقدّره. لن تكون أنت القارئ اليوم، ستكون التلميذ، وأنا من سيطلعك على حياتنا. أترك لي دفة الحديث ولا تقاطعني، فأنا متشوق للحديث.

سقوط في حضن القرب

هناك عبارة تتكرر داخلي دون رحمة: أن الخذلان دائمًا يأتي من المقرّبين. كنت أسمعها كثيرًا في الماضي، لكنني لم أُدرك معناها الحقيقي إلا حين أنجبت ابني، الذي سُمّي بأثقل الأسماء وأقساها وقعًا

على القلب. منذ تلك اللحظة، شعرت أن القرب الذي

كان يحتويني منذ سنوات لم يعد كما كان؛ كأنه لم يعد حضنًا للأمان، بل أصبح حضنًا يؤلمني أكثر مما يطمئنني. منذ علمت أن ابني من ذوي الهمم بدأت التساؤلات والاتهامات، وكأنني قصّرت في فترة حملي، دون إدراك أن كلماتهم لا تغيّر شيئًا سوى أنها تزيد وجعي وألمي.

لكن هناك نورًا لا نراه أحيانًا؛ نورٌ يقول إن الكلام لن يغيّر الحقيقة، بل قد يزيدها سوءًا. نحن لا نحتاج أحكامًا، بل نحتاج فهمًا. نتحرك من أجل مستقبل طفل كهذا، نسعى لتحسينه، ونحاول أن نكون قادرين على التعايش مع نظرة المجتمع التي لا ترحم.

لقد سقطنا في أقرب حضن، حضنٍ ظنناه ملاذًا لنا.

حين يضيق الشارع بالقلب

سرعان ما استطعت إقناع أهلي وأهل زوجي بأن ابني المصاب بالإعاقة يحتاج إلى علاج. لم يكن الإقناع سهلًا، وبدأت رحلتي العظيمة معه وبه. واجهت المشكلة الثانية مع المجتمع؛ نظراتٌ وتساؤلات تقتل الروح، خذلانٌ من المقربين يأتي، وخذلانٌ من الغرباء أيضًا. يضيق الشارع بي وبقلبي، لكنني أحارب كل حدٍّ وأي حدٍّ كي أثبت للعالم أن ابني يستحق الحياة.

****

حين حملتني أجنحة أسرع من المستحيل.

حين بدأت أمي الحبيبة في رحلتها نحو علاجي

المشوار كان يحمل بداخله اجنحة لا تحمل صعوبة هذا المشوار الصعيب لكن اجنحة أمي الحبيبة كانت غير

أي اجنحة اخري فكانت اجنحة الصبر الذي لا يمل ولا تيأس برغم كل المحاولات التي فشلت لكن بعد عتمة تلك المحاولات وبعد فترة طالت عن السنوات التي لا تعد خطوت انا اول خطوة في عمري بفضل ربنا سبحانه

وتعالي اولا ثم بسبب هذه الأجنحة التي حملتني طويلا دون منها ولا خوف بأن هذه الأجنحة لا تساقط أبدأ لانها كانت اجنحة أمي.

حين يُحجب الحق

بدأت مرحلة الأصعب على الإطلاق؛ مرحلة دمجي مع المجتمع، مع مجتمع غير مثالي، ولا حتى لديه وعي كافٍ بكيفية التعامل معنا كذوي همم. ومن المؤسف أن البداية كانت من داخل الأسرة؛ الأب، أو أهل الزوج، وكذلك أهل الزوجة، الذين يرون أنه لا ضرورة لأن يتعلم هذا الطفل المصاب بالإعاقة.

وفي القرى الشعبية، أو بمعنى آخر الأرياف، يخجل بعض الناس من أن يخرجوا بابنهم المصاب بالإعاقة. ليس خجلًا منه، لكنهم يعتبرونه بصمة عار. كيف يُحجب إنسان عن حقه الطبيعي؟ وكيف يُسلب منه أبسط حقوقه؟ وهل اختار هو أن يأتي إلى الحياة بهذا الشكل؟

****

خفايا بلا مرآة

أثناء المرحلة التعليمية لأطفال ذوي الإعاقة، يقرر الأهالي أن يذهبوا بهم إلى بعض الأخصائيين في مجال التخاطب، ممن يُعرف عنهم أنهم أخصائيون اجتماعيون. لكن يجب الحذر، فليس كل الأخصائيين يعملون لأجل تحسين حالة الأطفال.

هناك خفايا في عمل الأخصائي الاجتماعي لا تُرى، لأن ليس كل من يحمل هذا اللقب هدفه الحقيقي هو علاج الطفل أو تطويره. لذلك يجب على الأمهات أن يَخترن بعناية من يتعاملن معه، وأن يضعن الأخلاق والكفاءة معيارًا أساسيًا.

ففي هذا المجال تحديدًا، توجد جوانب خفية لا تظهر بسهولة، ويجب الانتباه لها وعدم إغفالها.

أيادٍ تبني

هناك أيادٍ تبني الأطفال المصابين بالإعاقة، أيادٍ تبني الأمل والحياة داخل كل طفل من ذوي الهمم. أيادٍ تطوّرهم ليكونوا أكثر نجاحًا، هذه الأيادي هي أيادي الأخصائي الاجتماعي الذي يعمل بالضمير، ويحب حالاتهم كأنهم أبناؤه بالضبط.

أيادٍ تبني نحو مستقبلٍ مُشرقٍ بالأمل والحياة. ختامًا، شكرًا لكل يدٍ ساعدتنا دون أن نقول.

*****

شوارع تحت ظل الكوابيس

حياتي اليومية في الشوارع لم تكن حياة، بل كانت أشبه بسجن لا يرحم، يخنق روحي البريئة من ذنوب العالم بأكمله.

كنت أمشي فأسمع كلمات قاسية بلا رحمة، مثل:

ربنا يشفيك أو"**يا عيني**"، وكلمات أخرى تحمل شفقة جارحة أكثر من كونها تعاطفًا.

تحولت الشوارع في نظري إلى كوابيس تطاردني،

تخنق أنفاسي، وتزرع داخلي شعورًا بالنقص.

كوابيس تلاحق روحي الطيبة، تطارد حلمًا بريئًا يبحث عن نفسه وسط حطام الحياة.

***

خذلان بلا صوت

اعتدنا قديمًا أن نسمع عن خذلان المقربين، أو خذلان الفراق، أو خذلان الحبيبة.

كل هذا الخذلان يمكن نسيانه مع الوقت، أو التعايش معه.

لكن هناك خذلان آخر، ربما لم تسمع عنه من قبل أو لم تعشه بعد.

إنه الخذلان الذي يجعلك حبيس فراشك، فلا تستطيع أن تتحرك، بينما صحتك تبكيك في صمت، ولا تستطيع أن تبوح بما بداخلك.

فأين خذلان فراق الحبيب؟ وأين خذلان المقربين؟ كلها أشياء يمكن أن تُنسى .. إلا خذلانًا واحدًا، يعيش في الروح ولا يُقال. إنه ذلك الذي يأتي حين تفقد

صحتك، فتمضي أنت معها، ولا يبقى منك شيء سوى

الألم.

*****

أنت كأعمى لا ترى

هل تعرف شيئًا عن يومياتي؟ عن كيف أعيش يومي وأكمله رغم ما فيه؟

هل ترى تحدياتي الخفية التي أنت عنها أعمى؟ هل ترى حتى أبسط تفاصيل حياتي، كأن أرتدي حذائي أو أواجه أمورًا يومية لا يلتفت لها أحد؟

قبل أن تحكم على حياة أحد، تذكّر أنك لا تراها كاملة. لا تحكم على إنسان لم تعش يومه، ولم ترَ ما يراه، ولم تحمل ما يحمله.

نصيحتي: لا تصدر حكمًا على حياة لا تعرف عنها سوى سطحها.

****

حكم قبل الحياة

هناك منظور خاطئ لدى بعض الناس، خاصة في البيئات الريفية أو محدودة الوعي، يقوم على إطلاق أحكام عامة على ذوي الإعاقة.

من هذه التصورات أن أصحاب متلازمة داون (**Down Syndrome**) لا يعيشون أعمارًا طويلة،

وأن حياتهم غالبًا لا تتجاوز الثلاثين عامًا.

ورغم أن بعض الدراسات تشير إلى وجود متوسطات عمرية معينة، فإن ذلك لا يعني أن كل الحالات تسير على نمط واحد أو مصير واحد.

فالإعاقة ليست قالبًا ثابتًا، ولا يمكن اختزال حياة الإنسان في رقم أو تصور مسبق.

الحقيقة أن لكل إنسان حالته وظروفه، ولا يجوز الحكم على حياة الآخرين قبل أن تُعاش أو تُفهم.

يعبر تفكير ناعب من الجهل من اللازم ان عطي لكل إنسان فرصة للعيش ليكن إنسان كاي إنسان نورمال فرصة واحدة لاثبات النفس قادره ان تمنع معنى للحياة وسط الحطام.

****

أنا لست كما تظن

أنا لست كما تظن، لست حكاية منسية، ولا حياة لا تستحق البقاء.

قد أبدو لك ضعيفًا، ومحلًا للشفقة، لكن داخلي قدرات

أنت معمى عن رؤيتها.

قدراتي ستصنع لي شأنًا يومًا ما. أنا القوة ذاتها، وإن لم ترها بعد.

لست كما تظن، وما تراه في الشوارع ليس الحقيقة الكاملة.

قد ترى مسكينًا في الظاهر، لكن الداخل مختلف تمامًا. في داخلي تزهر ثمار الأمل، جذورها من الطموح والإصرار، حتى وإن بدت للعين ترابًا.

أنا حكاية أخرى، وأنت لا تبصرها.

ظنك خدعك، وعيناك لم تَرَ الجمال الحقيقي للجوهر.

***

حين أخطأت التوقعات

ها أنا نجحت، وأحسنتُ بعض الشيء.

حينها قال الأطباء إنني لن أعيش طويلًا، وحاولوا أن يسلبوا أمي أملها في شمس الغد، لكنهم أخطأوا.

لقد عشت، ونجحت، وواصلت حياتي كأي إنسان

طبيعي. التشخيص ليس نهاية المرحلة، فلا تتوقف على كلام أحد، سواء عنك أو عن ابنك.

فهو ليس حكمًا نهائيًا، بل خطوة لفهم الحالة ومعرفة السبب، ومن هنا تبدأ رحلة العلاج والعمل على تحقيق

أفضل فرصة للشفاء. انفضي عنك غبار اليأس، ودعيه

خلف ظهرك، واصنعي طريقك مع ابنك البطل، الذي خلقه الله لرسالة عظيمة.

فالأمومة ليست كما نتخيلها دائمًا، بل هي أعظم مما نراه. والتشخيص ليس نهاية، بل بداية تدفعك للإيمان

أكثر بأن الله معك، حتى حين يخذلك العالم كله.

****

ما لا يقال في الجلسات

ليس كل الجلسات كما تبدو، وليس كل الجلسات للعلاج، فهناك أخصائيون لا يعملون، بل يكونون جالسين على هواتفهم المحمولة، والمشكلة أن الأبناء يشعرون بذلك.

لكنهم أحيانًا يكونون عاجزين عن البوح بالحقيقة.

هناك جلسات لا يُقصد بها دائمًا العلاج بقدر ما يُقصد بها الربح فقط.

جلسات ظاهرها الدعم، لكن غايتها أحيانًا تكون مادية

أكثر من إنسانية.

وما لا يُقال داخل هذه الجلسات أكثر مما يُقال، وخلف كل جدار سرّ أكبر مما نتخيل، سرّ يُخشى أن يُقال أو يُكشف.

وفي بعض الحالات، قد تتحول تلك الجلسات إلى

وسيلة لزرع سلوكيات خاطئة بدلًا من تصحيحها.

فليس كل ما يُقدَّم تحت مسمى العلاج نقيًا تمامًا،

وخلف بعض الأبواب، تختبئ خفايا لا يراها أحد.

****

رحمة انتزعت من القلب

الحياة التعليمية لذوي الإعاقة لم سهلا وحتي اذا تم قبوله فبعض المدراس اذا تم دمجهم مع الطبيعيين من زملائه هل يعني نهاية الأمر حيث هناك مدرسين او ريس لجنات لم يعد في قلوبهم اي رحمة او انسانية حيث لا تعطهم وقتهم الكافئ

وتشد عليهم كانهم لا تري قدامهم حجم المعاناة التي قدامهم كأن لا توجد في قلوبهم اي رحمة من الصحيح ان كل حد يري ذوي الإعاقة في اي مكان يساعده من باب الرحمة.

****

دروع تصنع الأمل وقدوات تملأ الحياة

هناك معلمات نعتز بقدوتهن كمثال مشرف لنا، لأن بعض المعلمات لسن مجرد من يعلمن القراءة والكتابة أو أي مادة دراسية، بل هن من يمنحننا أملاً ولو كان بسيطًا، ويعرّفننا على شخصياتنا التي نبحث عنها، ويفهمن ذواتنا الحقيقية.

هن دروع أمل تحمينا من أي أذى قد نتعرض له في حياتنا، ويكنّ حضنًا دافئًا كحضن الأهل تمامًا، يعلمننا كيف نحب أنفسنا. هن دروع تحمينا من تيهنا الداخلي والبائس، وهن أمل لنا وقدوات مشرفة، وأقرب إلينا أحيانًا من أي صديق.

لأقولُ للعالم أنني موجود

في إحدى الفترات من حياة بعض ذوي الإعاقة، قد يغضب الإنسان لأبسط الأسباب، أشياء ليس من

الضروري البوح بها. كنت أغضب من أمي كثيرًا،

أحيانًا لسبب وأحيانًا بدون سبب، وكانت العصبية لا

تتركني.

لكن الحقيقة التي كنت أخفيها خلف هذا الغضب هي أنني كنت أريد أن أثبت نفسي للعالم بأي شكل ممكن. كنت أبحث عن المثالية، رغم أنها أكبر كذبة في الحياة؛ فالكمال والمثالية غير موجودين.

كنت أريد أن أثبت نفسي بسرعة، فنسيت أن النجاح لا يُقاس بالسرعة، بل بالمجهود الذي يبذله الإنسان طوال سنوات حياته. كما أن إرضاء الناس لم يكن يومًا معيارًا للنجاح الحقيقي، بل النجاح الحقيقي هو أن تنجح أمام نفسك، أن تؤمن بها وبقدراتها، لا أن تستسلم لحكم الآخرين.

قباحتكم تملأ العالم

قباحتكم تسللت إلى كوابيسنا بلا هوادة، فلماذا حكمتم علينا دون أن تروا إنجازاتنا البسيطة قبل العظيمة؟ لماذا حكمت قباحتكم علينا دون أن ترى ميزاتنا الصامتة التي نعمل عليها بصمت؟ لماذا سرقتم منا حماسنا بظنون مزيفة صنعتموها عنا؟ لماذا سرقت قباحتكم منا لذة الوصول بأي إنجاز، ولو كان بسيطًا؟

نحن أفضل منكم، لأننا حكاية، أما أنتم فتراب نفسٍ لا يُرى حين يأتي الشيطان إلى قلوبكم قبل عقولكم. نحن لدينا قدرات تختفي عن أعينكم.

قصص لا تسمح ليها بالخروج

نعم، نحن نرى مواهب كثيرة لدى ذوي الإعاقة بكل أنواعها، لكن ما يخفى عنا أن هناك أيضًا مواهب كثيرة لا يُسمح لها بالخروج، لأن بعض الأهالي يريدون

أن يظل أبناؤهم محلًا للشفقة وتعاطف الناس، وهذا قد يحقق لهم مكاسب خاصة.

وأيضًا، حين لا يرى المجتمع نماذج حية لمواهب من ذوي الإعاقة، يصدق فكرته الخاطئة بأنهم ضعفاء، وذلك بسبب عدم إيمان بعض الأهالي بأن أبناءهم قادرون.

****

لآخر نفسٍ فيَّ سأحاول

لآخر نفسٍ في عمري سأحاول، سأحاول كسر كل

الحواجز المحيطة بي لأكون نفسي في النهاية.

اعتدت أن يكون الطريق مظلمًا، لكن النور الذي بداخلي هو شعلة الأمل التي تقودني نحو شظايا نفسي وروحي.

يومًا ما سأقول لنفسي: لقد نجحت في إثبات نفسي

لنفسي أولًا ثم للجميع.

لآخر نفسٍ فيَّ سأحاول أن أكون نفسي وسط العتمة، ومصيري أن أنجح وأطفئ الظلام من هذا العالم.

****

طفولة لم تستيقظ

كنتُ في الطفولة أبحث عن ذلك الطفل الذي كان كل ما يتمناه أن يلعب كالأطفال كرة قدم أو أي شيء بسيط كهذا، لكنني كنت أجد شوارع لا تحتضن طفولتي ولا تقبلني كما أنا.

ولما كبرت، شعرت أنني كبرت وفهمت نفسي، فإذا بي أجدها ممزقة بين طفولة مشوهة ومراهقة لا تخلو من أسئلة تقتل النفس، تسكنها في ظلام الأيام.

أين توجد النجاة للنفس التائهة؟ أريد أن أعثر على

نفسي، لتعيش في عالم لا يحكم بالمثالية، لكنه يقبلني كما أنا، كما أظهر، بشكلي وعيوبِي.

طفولة لم تستيقظ، طفولة أتمنى أن أعيشها، ومراهقة

أتمنى أن أفهمها دون أي ذكرى تعيدني للتفكير في

الأمس.

****

سجن الكلمات

في إحدى الفترات الزمنية، قال لي أحد المقربين إلى قلبي: أنت تستحق أن تكون من ذوي الإعاقة، لأن الله سبحانه وتعالى ابتلاك لأنك وحش.

فكرت في الكلمة: هل أنا فعلاً وحش؟ هل كنت أستحق ذلك؟ هل لو كنت سليمًا كنت سأرتكب أعظم الذنوب؟

هل كنت سأكون مثل شباب السوء، أشرب وألهو؟ هل أكون فعلًا وحشًا كأولئك الشباب الفاسدين؟ هل ابتلاني

لله سبحانه وتعالى لأنني كنت سأكون وحشًا؟ هل

رحمني أم عاقبني؟

لم تكن سوى كلمة، لكنها كانت كالسجن بالنسبة لي.

كونوا دُعَمًا لقلبي

النظرات المزيفة نحن كذوي إعاقة نشعر بها،

والكلمات المعسولة التي تخفي خلفها وجهًا آخر نحن لا نراه بل نشعر به، فخلف الابتسامات كذب، شخص يتظاهر بأنه يدعمنا لكنه لا يدعم بل يؤذي.

أنا أتمنى أن تكونوا دعماً لقلبي، تعاملوا معنا بجوهركم الحقيقي وليس المزيف. كونوا دعماً لقلبي وقلب كل بطل من ذوي الإعاقة، لأننا لا نحتاج إلى ابتسامة كاذبة وزائفة، بل نحتاج إلى كلمة صدق تُحيي فينا الحياة.

****

تصفيق بلا إنسانية

نحن كذوي إعاقة أو ذوي همم لا نحتاج إلى حفلات كثيرة، وكذلك إلى رحلات كل حين، لأن ليست كل الحفلات تُقام لإسعادنا. هناك حفلات تخفي خلفها أسرارًا كثيرة لا نعلمها، وهناك حفلات ورحلات لها غاية أخرى أكثر من كونها إنسانية، حيث إن ما يختبئ خلف تلك الخلفيات أعمق مما نتصور.

والآباء يركضون خلف إسعاد أبنائهم دون إدراك أن وراء تلك السعادة مصالح خفية، وأن هناك من خلف الأقنعة يكسبون ما لا نعلم. ليس كل حفلة أو رحلة تحمل سعادة، لأن ما يختبئ أحيانًا أكثر مما نتخيل.

فنحن لا نحتاج إلى تصفيق بلا إنسانية، بل نحتاج إلى قلوب حقيقية تحبنا.

****

مهرجان الشفقة

لم أكن أفهم في البداية لماذا أشعر بالضيق كلما ابتسموا لي كثيرًا، كانت ابتسامتهم كوحشٍ قاتل يقتل دون

رحمة. كانوا لطفاء أكثر من اللازم، لطفاء لدرجة أن

الواحد يشك في نفسه لا فيهم، فيشعر بالشفقة على

نفسه.

كلماتهم مليئة بالدعاء، ونظراتهم تحمل حزنًا غريبًا، حزنًا يقتل قبل أن يحيي، كأنهم يرون نهاية قصة حزينة لا بداية حياة جديدة. ظننت أن المشكلة فيّ، حتى إنني أيضًا شفقت على نفسي، وكأنني لم أكن داخل لحظة دعم بل داخل مهرجان كامل من الشفقة.

فالشفقة تبدو جميلة من بعيد، لكنها حين تقترب تتحول إلى عبء يقتل النفس، فتصبح حبيسة العقل بلا هوادة. هي ليست احتواءً، ولا فهمًا، بل نظرة تختصر الإنسان دون وعي في ألمه فقط، لا ترى قدراته ولا أحلامه ولا شخصيته، بل ترى فقط ما يثير التعاطف.

في كثير من المواقف لم يسألني أحد عمّا أستطيع فعله، بل عمّا أعجز عنه. لم يسمعوا صوتي الحقيقي، بل سمعوا الصورة التي رسموها في عقولهم غير الواعية عني. كانوا يتحدثون معي بنبرة منخفضة، بحذر زائد، وكأن الحياة قررت أن تضعني في خانة مختلفة عن الجميع.

الأصعب لم يكن الكلام، بل التصفيق؛ تصفيق لأشياء عادية جدًا، كأن مجرد وجودي إنجاز خارق. لم أشعر بالفخر حينها، بل شعرت أنني معروض في معرض، والجمهور لا يصفق لي بل لفكرة الشفقة نفسها.

بعضهم كان يمد يد المساعدة سريعًا قبل أن يعرف إن كنت أحتاجها أصلًا. لم يكن السؤال: كيف أساعدك؟ بل كان القرار جاهزًا: أنت تحتاج. وهنا يتحول العطاء إلى إعلانٍ ضمني بالضعف، غير مقصود، لكنه يرسخ أنك الأضعف دائمًا.

الشفقة لا تبني إنسانًا، بل تضع حوله جدارًا ناعمًا يمنعه من أن يُرى كما هو. الإنسان لا يحتاج نظرات حزينة، بل يحتاج فرصة عادلة، كلمة صادقة، وتعاملًا طبيعيًا لا يحمل وزن التعاطف الزائد.

في ذلك اليوم فهمت الحقيقة: لم يكن الألم في قسوة الناس، بل في لطفٍ لا يفهم. فالاحترام يرفع الإنسان، أما الشفقة فتصنع مهرجانًا صاخبًا يخفي داخله وحدة صامتة.

****

حين أصبح صوتهم صوتي

كثيرًا ما أشك في نفسي بسبب أحكام الآخرين، حين

وُلدت، كانوا يتكلمون عني بصوتهم، فحكموا دون أن يروا. لم يعد لي صوت، حيث إن قدراتي لا مكان لها بسبب أوهام زرعها الناس داخلي، فبدأت أشك في نفسي وأشعر بأنني غير موجود، وحطام يحيط بي من كل مكان. يا ليت كان لي صوت منذ البداية، لكنت أخذت حقي من كل من حكم عليّ.

****

نبتت بذور الأمل

هناك أهالٍ كثيرون من ذوي الإعاقة أحبّوا أبناءهم حبًا

غير طبيعي، فزرعوا فيهم حب الخير وثقة بالنفس تفوق الحدود، فعلموهم أن الإعاقة ليست عائقًا لهم بل ميزة زرعها ربنا سبحانه وتعالى بحبه الشديد لهم. دون هذه البذور ما كانت نجاحات ذوي الإعاقة العظيمة لتظهر لنا، حيث إنه دون إيمان الأهل لم يكونوا ليصلوا إلى شيء.

****

حالة خاصة

كنت أزعل كثيرًا من كلمة "حالة خاصة"، لكنني مؤخرًا فهمت أنني حالة خاصة فعلًا، لكن ليس كما تبدو. حالة خاصة لأنني شخص نادر ومختلف بأفكاره، حالة خاصة لأن داخلي نور المعرفة والتحدي، حالة خاصة لأنني لم أستسلم بل أتحدى. حالة خاصة ليست

وصمة عار كما كنت أظن، أو كلمة تُشعرك بالنقصان، بل لأنها تعني أنك مميز ومبدع بأفكارك البديعة والناضجة. حالة خاصة لأنك صعب أن تُخلق باختلاف شخصيتك النادرة مرتين.

****

من هو المعاق؟

لكل شخص يزعل أو تكون هذه الكلمة سببًا في إزعاجه، دعني أخبرك شيئًا: من هو المعاق؟

المعاق هو الذي يُعاق نفسه ويُعوق من حوله. لو كان الإنسان ليس عائقًا لمن حوله فهو بذلك ليس معاقًا. ومؤخرًا عرفت أن هذه الكلمة تُستخدم في وصف حالة الإنسان، وهي لا تقلل منه. فالمعاق ليس هوية الإنسان، بل رحلة تجعله أكثر اختلافًا وتميزًا.

كلمة "معاق" هي كلمة نحتاج أحيانًا إلى قولها، لكن ليس معنى الكلمة أنك عاجز عن تحقيق الأحلام. هناك أقوال لا بد أن تُقال، وثقافات لا تتغير بسهولة، ومع ذلك يجب أن تبحث عن نفسك برغم تعريفات الأزمة.

****

لم أعد أطلب الإذن لأكون.

فيما مضى كنت في صراعات داخلية لأكون، وكنت

أتمنى أن يقبلني الناس، لكنني مؤخرًا أدركت أن القبول ليس أن يقبلك المجتمع، بل الحقيقة الكبرى أن تبدأ

بنفسك، أن تقبل نفسك، ولا يهمك أي آراء أو كلام أو

نظرات. تقبل نفسك لدرجة أنك تمر باردًا وهادئًا في

الشوارع التي كانت تسبب لك اختناقًا من المجتمع،

وتكون لديك فن اللامبالاة من كل شيء، لا يهمك شيء على الإطلاق.

لم أعد أطلب الإذن لأكون، بمعنى أنني لا أحتاج أن أشرح للآخرين أو أفهم كل الناس أنني لست كما

يظنون.

****

من أنا؟ ولماذا جئتُ إلى الحياة؟

من أنا؟ ولماذا خُلقت بهذه الصورة التي لا تعجب البعض، والتي تنمّر عليها كثيرون؟ هل في خلق ربي حكمة خفية لا أراها؟ ولماذا أتساءل كثيرًا عن دوري في هذه الحياة، ولماذا أشعر أنني غريب عن نفسي ومهجور من العالم؟ هل من الحكمة الإلهية أن أكون هنا؟ وهل لي رسالة يجب أن أوصلها؟

أسئلة وجودية صعبة تجعل الروح حائرة. ربما لا أجد

نفسي الآن، لكنني سأظل أبحث عنها، لعلني أجدها يومًا ما.

هل خلقت مختلفا أم اختارني الاختلاف؟

سؤال يكرر بداخلي كثيرًا: هل هناك حكمة من وراء اختلافي؟ من أنا وسط كل هذا العالم الذي يشبه بعضه ولا يشبهني؟

منذ طفولتي وأنا أشعر أنني أسير في طريق ليس بطريقي، طريق لا يراه الآخرون. لم أكن أسبقهم ولم يكونوا خلفي، كأنني أسير في مسار جانبي خُلق خصيصًا لي بمفردي. كانوا يكبرون بشكل طبيعي، بينما كنت أنا أتعلم أبسط الأشياء وكأنها انتصارات عظيمة. خطوة صغيرة عندي كانت تعادل رحلة كاملة عند غيري.

في البداية ظننت أن الاختلاف عقوبة، نظرات وأفعال الناس كانت تقول ذلك دون كلمات، وشفقتهم كانت أثقل من أحكامهم. كنت أرى السؤال في عيونهم: لماذا هو هكذا؟ وكأن وجودي يحتاج تفسيرًا.

كبرت قليلًا وبدأ السؤال يتغير داخلي: هل خُلقت مختلفًا فعلًا، أم أن الحياة اختارتني لأرى ما لا يراه الآخرون؟ اكتشفت أن الاختلاف لا يظهر في الجسد فقط، بل في الطريقة التي نشعر بها بالأشياء. أنا أفرح بتفاصيل صغيرة لا ينتبه لها أحد، وأحزن لأشياء يمر بها الناس مرور العابرين. الألم علّمني الصبر قبل أن أفهم معناه، والتعب جعلني أعرف قيمة كل إنجاز مهما كان بسيطًا.

ربما لو كنت مثل الجميع لما فهمت معنى المحاولة، ولما عرفت الوقوف بعد السقوط كبطولة حقيقية. فهناك لحظة يصل إليها الإنسان يتوقف فيها عن سؤال: لماذا حدث هذا لي؟ ويبدأ بسؤال آخر أعمق: ماذا يمكن أن أفعل بما حدث لي؟

في تلك اللحظة يتحول الاختلاف من عبء إلى معنى. لم أعد أرى نفسي ناقصًا كما ظن البعض، بل تجربة مختلفة للحياة. أنا أعيش العالم بسرعة أبطأ لكن بعمق أكبر، أرى الرحمة حين تغيب، وأشعر بالقوة حين يظن الجميع أنني ضعيف.

ربما لم أختر الاختلاف، لكنني اخترت ألا أهرب منه. وربما لم أولد لأكون مثل الآخرين، بل لأفهم الحياة بطريقة أخرى.

الآن فقط بدأت أفهم الإجابة: لم أُخلق مختلفًا عبثًا، ولم يخترني الاختلاف صدفة، بل كان بيننا اتفاق صامت. أن أتعلم منه الصبر، ويتعلم العالم مني الإنسانية.

****

لماذا يراني الناس قبل أن يعرفوني؟

ولماذا يسرع البعض في الحكم عليّ قبل أن يعرفوا قدراتي ويؤمنوا بها؟ لماذا يُصدرون أحكامهم على دوري دون أن يرونه حيًّا أمامهم؟ وهل تبدأ الحياة وأدوار الناس بين ليلة وضحاها؟

إن دورَ الإنسان لا يُعرف إلا بعد رحلة طويلة من

الصبر والمحاولة والتجربة.

****

دوري موجود وسط الحطام

وُلدتُ على ملامح لم تكن في أحسن صورة ممكنة، ووجدت نفسي حطامًا يحيط بي دون رحمة ولا وعي. لكنني كنت أحاول أن أكسر كل شيء يقيّدني، وأحاول أن أحسّن من صحتي ومن نفسي.

كنتُ حطامًا يتشقق تحت أقدام العابرين، لكنني رفضت الاستسلام. قاومت بالقوة لأرمم هذا الحطام، ولأثبت أن لي دورًا رغم هذه الكسور التي بداخلي، ولأبرهن أنني قادر على مواجهة ما يشبه المستحيل من أجل الوصول.

****

ماذا لو كان ضعفي طريق قوتي؟

أستغرب كثيرًا أنني أُقدّم الدعم للناس دون أن أتخيّل

أنني قد أساعدهم يومًا ما. أراهم سعداء بفضلي، ولا أدرك لماذا. هل لضعفي قوة خفية أستند بها إلى

الآخرين دون أن أراها في نفسي؟

كيف أكون مصدر سعادة للآخرين بينما أفتقدها أنا؟

ومع ذلك ربما ليس ما أراه ضعفًا، بل قوة لم أكتشفها بعد. قد تكون موجودة بالفعل، لكنني لم أتعرف عليها بعد.

****

لماذا أعطاني الله طريقًا أصعب

لماذا ربنا سبحانه وتعالي أعطاني طريق أصعب من طرق الآخرين هل كان يريد ان يكون لي دور عظيم برغم الصعوبات هل حب الله فيا جعلني اعبر من هذا الطريق فهي ليس عقوبة بالتأكيد بل حب حقيقي لا افهمه بعد لماذا انا في لحظات غضبي وزعلي وياسي العل هذا الحب اشوفه بلاء ليس حب الخالق لي فهل اعطاني ربي الرحيم هذا الطريق لأكون ناجحا أكثر من أي إنسان اخر.

****

فرصة حقيقية

لكل إنسان فرصة فالفرص الثمينة لا تتعوض ومن اللازم ان كل إنسان ياخذ فرصته فالحياة يعني أم لطفل ذوي الإعاقة لازم تاخد فرصة لاثبات إنها قادره ان تتعالج ابنها حين يكبر الابن لازم يجد فرصة لتعبر عن نفسه لازم يتعرف نفسه للمتجمع وعلى المتجمع الفهم بأحسن شكل ممكن تركوا الفرص لهؤلاء الناس كي تثبتوا أنفسهم للعالم باسره هما ليس في الحاجة في اي حاجة غير الفهم فرصة حقيقية لمن لا يعطي فرصة من قبل.

****

أنا رسالة قبل أن أكون حالة

ربما لم تخلق الإعاقة او الميزات النادرة بالإنسان لم تخلق الرحمة أبداً ربما وجودي رسالة تحمل رحمة خفية لا أراها في نفسي ولا الناس الوحشة تراها لكنني أكيد رسالة صح انا ولدت في ظروف صعبة لكن لم يعن ذلك بأنني ليس رسالة ربما لو لم نحن كذوي إعاقة لم نخلق لدى المتجمع يتحول أكثر وحشيا انا بالتأكيد علمت ناس كتيره مني الصبر والرحمة ان لا يحكموا بل ليفهموا معنى الإنسانية التي تحمل رحمة داخلها ربما انا رسالة خفية الناس كشخص الاعمي عن رؤيتها ربما انا حالة رحمة حالة رحمة ليس معنيها أبداً إنها تستحق الشفقة او التعاطف بل حالة رحمة معنيها أنني بعلم الناس الرحمه أنهم لم يعرفوا الاستلام أبداً ربما انا رسالة وجودية ما زال لم حد فهمها.

****

كسور تُعيد تشكيل الروح

كسور كالشبح تقتلني ببطئ كسور ما تبقي وزائدت روحي محيطة بالكسور لم اختارها فحيث ولدت بها ولدت بصورة تكرهها الناس فتنمر عليها كسور جعلتني اسير واسقط كثيراً صحة تخون وكلام يقتل لكسور تبقي لكن أنا رفضت هذه الكسور تحيط عمري طوال حياتي قررت إصلاحها لاكون نفس ليس مكسور بل لاكون نفس أفضل.

****

ولدت هنا لكن هل انتمي

نعم، هنا وُلدتُ وقدرتُ أن أعمل كل شيء لإصلاح نفسي، لكن ظلّ سؤال معلق في ذهني: هل أنتمي؟

هل أنتمي لهذا المجتمع غير المثالي؟ وهل فيه مكاني الحقيقي الذي أستطيع أن أعيش فيه بحرية، أم أنني لا أستطيع لأن هذا المجتمع لا يريدني أن أجد نفسي فيه؟

أم أن المشكلة فيّ أنا، في إحساسي المبالغ فيه أحيانًا؟ هل حقًا أنتمي إلى مجتمع حقيقي أحب الناس الذين فيه، وهم أيضًا يحبونني؟

سأظل أبحث عن مكاني، لأنه بالتأكيد موجود، لكنني ربما أكون عاجزًا عن رؤيته الآن..

****

الخروج من مسرح الشفقة

حين كبرتُ أدركتُ العالم من حولي، ورفضت أن

أكون نسخة مسكينة كما يظن البعض. رفضت أن

أذهب إلى حفلات ورحلات لا تشبهني ولا تشبه جوهري الحقيقي. أصبحت أريد نفسي فقط، ولا أريد

أي شيء يشعرني بالنقص أو الانتقاص من كرامتي.

قررت أن أكتفي بنفسي وأرتقي بها، حيث لا شيء يستحق أن أتنازل من أجله عن كرامتي. قررت أن أكون نفسي، فهي الوحيدة التي تستحق أن تبقى سعيدة.

****

تفاصيل لا تراها العيون

رسالة مني للعالم داخلي عين مختلفة عن جميع الأعين الاحظ كل تفصيلة صغيرة كانت أم كبيرة أشعر بالعزلة عن كل شيء كان يشعرني بالنقصلان نعم لكن كنت اداري حقيقة كبري داخلي بأنني كنت أسرع من الزمان ففهم الأمور التي تختفي ورا هذا العالم القبيح انا كنت كظل اسير في زوايا الأمور وافهمها بعمق شديد ايوة الزمن كان أسرع مني ومن حولي وقوتي لكنني كنت افهم فابتعد عن كل شيء يقلل مني ومن قدراتي المميزة كنت أري تفاصيل فالعالم لا يراها العيون غير عيني كنت أري الكذب والحقد والغيرة والكره بشعور نادر ومختلف بعيونه المختلفة عن جميع الأعين حيث رات العالم بعينة مختلفة.

****

غربة الإعاقة سنوات بين الجدران

كنتُ أخاف الخروج من المنزل لسنوات طويلة، كأنني في غربة عن نفسي وداخل نفسي في الوقت نفسه. كنت أتجنب كل شيء خوفًا من مجتمع لا يُشبه الرحمة، وكانت وحدتي تقتلني بصمت، ورصاص التنمر يجرحني دون صوت.

لم أكن أستطيع مواجهة تلك الغربة الطويلة والاكتئاب الذي كان يثقلني، لكنني أدركت لاحقًا أنني كنتُ مخطئًا. كنت أهرب من ماذا؟ وهل إعاقتي شيء يُخجلني أو يمنعني من الخروج؟

اكتشفت بعد غربة طالت أن الزمن الذي ضاع مني كان جزءًا من عمري الحقيقي، وأنه لا معنى لإهدار الحياة من أجل نظرات أو دعم لا يأتي. عليّ ألا أهتم، فربي معي ولن يتركني مهما طال الزمن، فهو ربي وأنا عبده الراضي الشكور، أرى نعمه وأحمده عليها.

لماذا أهرب من شيء كان من المفترض أن أعتز به بدلًا من أن أهرب منه؟

***

صوت الظلال

هناك عالمٌ لا تعرفه أو لم تسمع عنه من قبل؛ عالم نعيشه نحن كذوي إعاقة. الظلال تحيط بنا، كأنها أشباح تأخذ ولا تعطي. نتحدى ظلالًا كثيرة: ظلال التنمر، وظلال عدم القبول، وظلال الرفض.

قررنا أن يكون لنا صوت وسط هذه الظلال التي تخنقنا ولا تترك لنا مساحة للفرح، لكننا حاربنا بأنفسنا لنتجاوز كل الصعوبات في حياتنا، كي نعيش سعداء.

مهما كثرت الظلال من حولنا، فمصيرنا أن نعبر إلى سلم النجاح دون أن نستسلم لها.

****

همسات بين الجدران

أنا كما لي حكاية مؤلمة ظاهرة للناس، ولي أيضًا حياة داخلية أخفيها عن الجميع. الحياة الداخلية كنت أُبعد فيها نفسي عن آراء الآخرين وأحكامهم، وألجأ إلى عالم يشبهني، يخفف عني ضوضاء هذا العالم.

هناك همسات تشعرني أنني بخير، وسأظل كذلك في عالم يطمئن نفسي ويبعدها عن أي أذى أو قيود تحيط بها، عالم يطمئن نفسي وروحي حقًا.

***

دروب بلا حرائط

هل هناك مسار واضح لا بد أن نعبره؟ جئنا إلى الحياة لأن الله خلقنا من رحمته، وكأننا نسير في غابة مليئة بوحوش تأكل النفس.

هل يتوقف الإنسان عند عدم العثور على مسار معين يسير عليه؟ لكن هناك سؤال أعمق: هل يمكن لنا أن نختار مسارًا لنصنع به حياة حقيقية نعيش عليها، فنجد دورًا حقيقيًا نحياه دون التفكير فيما ضاع منا؟

دروب كثيرة تسير بنا بلا ملامح واضحة، لكننا لا نحتاج دائمًا إلى خرائط كي نعيش، فنحن من نعبر الطريق بأنفسنا ونصنع اتجاهنا.

****

صدى الانكسار

هل تؤمن بأن لحظات الانكسار يمكن أن تتحول إلى دروع خفية تحميك في داخلك، وتصبح قدرات تدفع بها عن نفسك؟ ليس كل الحزن يكسر الإنسان دون أن يقويه، فبعض الألم يتحول إلى دروس تكون أكبر حافز للاستمرار.

فالانكسار له صدى إيجابي أحيانًا لا نراه، لكنه يترك أثرًا يعيد تشكيلنا من الداخل.

****

جناح فوق الزجاج

كنتُ أريد أن أحلق بعيدًا عن هذا العالم، الذي يشبه سماءً مليئة بالغيوم، يصعب على الطيور أن تحلق حولها بحرية دون قيود تعيق أجنحتها.

لكنني لا أعرف كيف أجد مكاني وسط سماء سوداء بالكامل، حيث تسقط طيور الأحلام سريعًا قبل أن تكمل رحلتها. كان هناك طائر بريء، حلمه بريء، كان يتمنى فقط أن يمحو هذه الغيوم.

****

أوراق غير مكتوبة

نحن حكايات عظيمة مكتوبة بحبر الصبر والمحاولة،

حكايات كُتبت بنار الصبر. رحلتنا جاءت من

الصعوبات والفشل إلى النجاح. نحن حكايات لم تُكتب

لأجل الشفقة، بل كُتبت بالذهب والفضل.

ليتكم كمجتمع لا تكتبون بدلنا حكايات غير صحيحة، قائمة فقط على خيالكم القاسي، فنحن حكايات عظيمة لا يكتبها إلا الله سبحانه وتعالى. فلا تكتبوا قصة لا تعرفون نهايتها ولا تدركون مستقبلها.

****

نوافذ في الظلام

نحن كذوي إعاقة نبني نوافذ أمل صغيرة، وندعم أنفسنا بأنفسنا رغم الظلام الذي يحيط بنا. نستطيع أن نخلق نوافذ نرى من خلالها الإيجابي، ونصنع لأنفسنا حماية تحمينا وسط هذا الظلام الدامس الذي حجب عنا رؤية الأمل.

نوافذ نرى من خلالها أحلامنا البعيدة، حتى وإن بدت مستحيلة الوصول، ونوافذ تجعلنا ندرك أننا نستحق الحياة كما هي. نوافذ تُحيي فينا نار الحماس من جديد، وإذا طال عليها الظلام، فمصيرها أن تُبدده وتمحوه.

****

دورٌ لا يُنكر

لـي دور فـي هذا العـالم، حتـى لـو كـان غيـر ظـاهر للـبعض، وحتـى إن حـاول الـبعض إنكـاره أو تهميشـه. لـيس دوري أن أكـون نسـخة مـن الآخـرين، ولا أن أختبئ خلف الإعاقة، فهـي ليست عائقًـا لـي، ولا أن أقبـل أن تُكتـب حيـاتي علـى مقاس خوفهم أو ضعف رؤيتهم.

أنا من ذوي الإعاقة، لكنني أملك قدرة قد لا يمتلكها غيري: أن أرى العالم من زوايا مختلفة، أن أشعر بما يختبئ خلف الابتسامات، أن أسمع ما لا يسمعه

الآخرون، أن أتحرك رغم القيود، وأن أخلق الأمل من بين الحطام.

دوري يبدأ حيث ينتهي تصور الناس القاسي لي،

وحيث يظن البعض أنني مجرد عبء أو حالة تستحق الشفقة. دوري أن أثبت أن الحياة لا تُقاس بالمثالية، ولا بالتشابه مع الأغلبية، بل بالقوة التي يولدها التحدي، وبالجرأة التي تكسر الحواجز، وبالرحمة التي يمكنني أن أنشرها حولي، لا لأجل الشفقة، بل لأجل التغيير.

حين أمشي في الشوارع، أرى نظرات مختبئة خلف الأعين، وكلمات كأشواك، وأحكامًا صامتة تثقل روحي، لكن هذه الحواجز لم تمنعني، بل صارت طريقًا أنحت فيه عالمي، وأكتب به وجودي، وأرسم به مستقبلي.

كل خطوة، وكل كلمة، وكل تحدٍّ صغير هو شهادة على أن لي دورًا لا يمكن أن يُكمله أحد غيري. دوري أن أكون صوتًا لمن لا صوت لهم، وأن أمدّ يدي لأولئك الذين يقيدهم خوف المجتمع من أحلامهم، وأن أكون اليد التي تبني لا التي تستسلم، والعين التي ترى لا التي تُغمض أمام الحقيقة.

ولكل من يظن أن الإعاقة تعني النهاية، أقول: إنها بداية مختلفة، مليئة بالتجربة والمعنى والرسالة.

أحيانًا أشعر بظلال الكوابيس تحيط بي، وأصواتًا

داخلية تهمس: أنت ضعيف، لا مكان لك هنا، لكنني أبتسم، لأنني أعرف أن دوري لا يُقاس بظلالهم، بل بالنور الذي أزرعه بداخلي، وبالنور الذي يمكن أن يضيء من حولي.

دوري أن أعيش حياتي كما أريد، أن أحتفل

بانتصاراتي، أن أتعلم من إخفاقاتي، وأن أجعل من كل يوم فرصة، ومن كل تحدٍّ رسالة، ومن كل دمعة بذرة أمل.

أنا هنا وسط الحطام والظلال، لكنني لست مجرد

شخص يتألم، أنا من يزرع الأمل، من يشق الطريق، من يثبت أن وجوده له معنى، وأن رسالته أكبر من كل صمت، وأكبر من كل حكم، وأكبر من كل نظرة.

لي دور ... وسيبقى.

لمتابعة الكاتب حسن نوفل على الفيسبوك:

/https://www.facebook.com/share/1BEnP5szdg

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023

لمتابعة دار تويتة على الفيسبوك:

دار تويتة للنشر والتوزيع

@جميع حقوق النشر محفوظة ل

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

٠١١١٢٣٥٧٤٧٣